الالتزام في الشعر العربي الحديث أحمد شوقي *أنموذجا

Commitment to modern Arabic poetryAhmed Shawky * a model

محمد عبد الهادي [1]، عبد القادر رحيـم [2]

[1] جامعة أبو القاسم سعد الله– الجزائر (الجزائر)، m_hadi83@yahoo.com

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)،a.rahim@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/04 تاريخ القبول: 2021/09/13 تاريخ النشر: ../2021/12

ملخص:

يعالج هذا المقال مسألة الالتزام في الشعر العربي الحديث، من منظورها الشرعي المنبثق عن الرؤية الإسلامية، وهذا من خلال نماذج شعرية مختارة لأمير الشعراء "أحمد شوقي"، إذ سنتتبع ما ورد في " ديوانه (الشوقيات) من أغراض شعرية ترتبط بالأدب الملتزم الهادف، الذي يتناول قضايا إسلامية متنوعة، ومن أهمها : أركان الإسلام و فرائضه المشهورة: " الصلاة"، والزكاة، والحج، إذ كان لأمير الشعراء في هذه الأركان قصائد شتى تحتفي بها وتدعو الناس إلى التمسك بها والمحافظة عليها.

كلمات مفتاحية: الالتزام؛ الشعر العربي الحديث ؛ أحمد شوقي.

Abstract:

This article deals with the issue of commitment in modern Arabic poetry, from its legal perspective emanating from the Islamic vision, and this is through selected poetic models of the Prince of Poets "Ahmed Shawqi". It deals with various Islamic issues, the most important of which are: the pillars of Islam and its famous duties: “Prayer”, Zakat, and Hajj, as the Prince of Poets in these pillars had various poems celebrating them and calling people to adhere to and preserve them.

Keywords: Commitment, Modern Arabic Poetry, Ahmed Shawky.

محمد عبد الهادي، m_hadi83@yahoo.com

1. مقدمة:

الشعر ضرب من ضروب القول يتسع لكل غرض ، ويتناول كل مطلب ، والسابق فيه من يذهب به فنونا ، ويتسع له القول فيه شعوبا **. يقول " شكيب ارسلان " كانت أشعار أمير الشعراء "أحمد شوقي " الإيمانية غاية في التأثير ، تذوب لها القلوب حسرة وذكرى ، وتتحد العبرات شغفا ووترا، وتشهد ل " أحمد شوقي" فوق شهادات لا تحصى ، بأنه شاعر الإسلام بجميع جوارحه".

والمقصود بالالتزام في الشعر هو انطلاق الشاعر من تصور شامل في نظرته إلى الحياة ومجمل القضايا المعيشة ، وربطها بوعي وإيجابية بالواقع المعاصر. مع التشخيص العلمي و الدقيق والممنهج لمجمل المشكلات التي تعترض سبيل المجتمع الحضارية، المتفتح بوعي وأدراك علمي . والذي يحفظ المعاني الجليلة والعظيمة للدين الإسلامي الحنيف.

إن روح الالتزام الإسلامية التي تختلج بها نفس أمير الشعراء " أحمد شوقي" ظاهرة في ديوانه (الشوقيات)، وتنم عن إدراك وفهم عميقين للدين الإسلامي الحنيف وأهدافه الجليلة السامية ، وكان الشاعر مصححا لكثير من المفاهيم المغلوطة وخصوصا فريضة الزكاة ، رافضا ربطها بالتفضل والمن والأذى، وعليه هل يمكن إدخال " أحمد شوقي " ضمن الشعراء الملتزمين ؟، وهل استوفى شعره الإسلامي الخصائص الفنية المطلوبة من الناحية الإبداعية والجمالية ؟. وهل ما أبدعه أمير الشعراء من إسلاميات يمثل اتجاها محددا يستحق الدراسة والتحليل والنقد ؟ .

2.ماهية الإلتزام :

ورد في (لسان العرب) في مادة (ل. ز. م) لزم الشيء ،يلزمه لزما،و لزوما،ولازمة و لزاما والتزم، وألزمه إياه فالتزمه. ورجل لزمة يلزم الشيء لا يفارقه واللزام :الملازمة للشيء والدوام عليه.والالتزام :الاعتناق. (منظور، د.ت، صفحة 541) وجاء في (القاموس المحيط) لزمه: كسح، لزما ولزوما ولزاما ولزامه ولزمة ولزمانا بضمها، ولازمه ملازمة ولزاما والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ولزمه كهمزة أي التزم الشيء لزمه من غير أن يفارقه، والتزم العمل و المال أوجبه على نفسه. (أبادي، 1995، صفحة 148) وقد اختلف الشعراء والنقاد في تحديد معنى الالتزام في الأدب، وذلك لاختلاف مذاهبهم الأيديولوجية من هذا

المصطلح ، لا سيما أصحاب الميول الفكرية (الدينية) والاتجاهات السياسية ، فذهب كل فريق إلى إعطاء معنى للالتزام وفق فكرته وعلى هدي ثقافته. وجاء في (المعجم الأدبي) لـ "جبور عبد النور" الالتزام بمعنى "حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية،والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف، بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار، وتكون هذه الآثار محصلا لمعاناة صاحبها ولإحساسه العميق بواجب الكفاح، والمشاركة الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام[3]. والالتزام حسب د. "محمد غنيمي هلال" وجوب مشاركة الشاعر بالفكر والشعور والفن في القضايا الوطنية و الإنسانية، وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال" (الخنين، 1408، صفحة 3). وعرفة عديد من النقاد بأنه " الموقف الصلب المحدد والواضح الذي يقفه الأديب مما يجري حوله ، بحيث يدرك مسؤوليته تجاه قضايا أمته إدراكا تاما، و يعيش تجربة الجماهير العربية في تجربته من خلال المشاكل الفعالة في معارك نضالها، والمعاناة الروحية لمشكلاتها الكبرى ضمن إطار الوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية". (صالح، 2006/1427، الصفحات 6-7) فيما أكد" لخضر لعرابي" أن الالتزام هو تقيد الأدباء و أرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة و أفكار معينة يلتزمون بالتعبير عنها ، ويقربونها إلى عقول الجماهير ويحببونها إلى قلوبهم. والأديب بهذا المعنى صاحب رسالة في التنبيه والشرح والتوجيه ، فلا يسمح لشاعريته أن تحيد عنها ولا لقلمه أن يتجاوزها، أو هو في الأقل مشارك لأصحاب تلك المبادئ والدعوات الإصلاحية في نشر دعوتهم و التمكين لها في القلوب والعقول، حتى لا يحس الناس غيرها ولا يسمعون إلا صداها (العرابي، 2003، الصفحات 110-111). أما "محمد مصطفى هدارة" و"نجيب الكيلاني" فاعتبرا الالتزام ارتباط الأديب بقيم و مبادئ، أو قضايا محددة تشربها عقله ووجدانه ،فكل تفكير أو تعبير صادر عنه يكون في نطاق هذا الارتباط أو الالتزام (العرابي، 2003، صفحة 108). وهو "منهج متبع وأسلوب عمل وفق تصور معين، ويمكن القول: إنه تقيد بمضمون أو بشكل. (صالح، الأدب بين الإلزام والالتزام، د.ت، صفحة 7) إن "الالتزام هو الذي يعطي الأديب مجاله وحيويته وأصالته وإنسانيته والأديب الخالد على المراحل التاريخية القادمة " (الكيلاني، 1996/1413، صفحة 93).

إن الأدب الهادف هو ذلك الذي يلتزم التزاما واضحا بالقضايا الوطنية والإنسانية، و قضايا مقارعة الاحتلال والاستعمار والصهيونية، وهو الذي يتبنى مشكلات هذا المجتمع ويتفاعل إيجابا معها، وعليه أن يخوض قضاياه لأنه يعيش فيه وجزء منه، ومنوط به أن يقدم إليه الرؤية الصحيحة اجتماعيا وفكريا وحضاريا (العرابي، 2003، صفحة 119). وهذا الوعي هو الذي يجعل الأديب يشعر بمسؤوليته إزاء هذا المجتمع، و يتخذ موقفا متميزا دون غيره من المواقف، فالأديب الملتزم هو الذي يعي الواقع و يستوعب القضايا الكبرى و يعبر عن قضايا المجتمع الايجابية والسلبية (العرابي، 2003، صفحة 119). والواضح هنا أن الغرض من الالتزام ليس التحدث عن المعضلات الاجتماعية ، فقط بل كشفها و تقديم الحلول الناجعة لمعالجتها والسير بالمجتمع نحو الأحسن. وعند الحديث عن الالتزام في الأدب العربي الحديث والمعاصر أول ما يتبادر إلى أذهاننا دعاة الأدب الإسلامي وأنصاره ، الذين انقسموا على أنفسهم إلى فريقين، الأول: يدعو إلى مفهوم الالتزام بمفهومة التقليدي الذي يرفض كل شيء خارج أطار الشريعة الإسلامية، أما الفريق الثاني : فهو أكثر وعيا وانفتاحا ويعد كل أدب محلي أو عالمي يتوافق في مضمونة ومبادئه مع الشريعة الإسلامية سواء أكتبه – مسلم أم غير مسلم – أدبا إسلاميا ، ونجد مثيلا لهذا عند أحد أعلام ورواد الأدب الإسلامي المعاصرين د " عبد الرحمن رأفت باشا" الذي يرى الالتزام أن "يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكرا محددا من الأفكار وعقيدة من العقائد أو نظرية من النظريات أو فلسفة من الفلسفات ،سواء أكان ما يلتزم به دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا أم نحو ذلك بحيث يكون أدبه نابعا مما اعتقده، ممثلا لما اعتنقه غير حائد عنه أو خارج عليه". (العرابي، 2003، صفحة 125) وهو ذلك الموقف الإنساني الذي يقفه الأديب تجاه مجتمعه، شريطة أن يكون نابعا من ذات الأديب نفسه، و من قناعته الشخصية ووعيه بكل ما يقول أو يفعل ، ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب ، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا و إخلاصا وصدقا ، واستعدادا من المفكر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما ، ويتحمل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام. (العرابي، 2003، صفحة 125) وخلاصة القول إن الالتزام ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره وقضاياه ،حتى يتمكن بذلك من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى حقيقة

واقعها، و توعيتها بمصيرها. (صالح، الأدب بين الالتزام و الإلزام، الأدب الإسلامي، 2006/1427، صفحة 7) وجدير بالذكر بأن هناك بونا شاسعا بين الالتزام والإلزام، فالأول: نابع من داخل الإنسان وناتج عن قناعة إرادية ، أما الثاني : فهو قصري لا إرادي (إجباري). وشتان بين الأول والثاني (لا يستويان). (حاقة، 1979، صفحة 14) ومن مظاهر الالتزام في شعر " أحمد شوقي " ما يلي :

أولا: الصلاة في شعر احمد شوقي :

الصلاة –من منظور الشريعة الإسلامية– هي المرتكز الأساسي في علاقة الإنسان بالله تعالى، وهي الداعي إلى إحياء معاني الإيمان في قلب هذا الإنسان، وهي إضافة إلى كل ذلك

عمود الدين وسنامه ، (العرابي، 2003، صفحة 107) لذلك كثر ذكرها في القران الكريم (حوى، 1988/1405، صفحة 101).

وأما في شعر شوقي فللصلاة ولمكانها المقدس (المسجد) حضور قوي لا تخطئه عين القارئ، إذ يعد المسجد إشارةً " أميرِ الشعراء " الواضحةَ إلى الصلاة وقيمتها ومكانتها في الإسلام ، يقول في ذلك (سورة إبراهيم : 31 ، 40 ، طه : 132 ، البقرة : 110)

مررتُ بالمسجد المحزون أسأله هل في المصلى أو المحراب مروان؟

تغير المسجد المخزون واختلفت على المنابر أحرار وعبدان

فلا الآذان آذان فـي منارته إذا تعـالـى ولا الآذان آذان

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى المسجد الأموي بدمشق وما حل به من خراب وهجر، بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا، إذ أضحى خاويا مفرغا من رواده الذين عمروه قرونا طويلة.

ولاشك أن أمرا مثل هذا قد أثر في الشاعر، وحرك في نفسه مشاعر الأسى والحزن على طريقة أبي البقاء الرندي، وبخاصة في البيت الأخير الذي تشعر فيه بالوهج الأندلسي المتقد، ولكنه من منظور شوقي،المفعم بالنغم والمليء بجميل المعاني والألوان الصور. (شوقي، 1946، صفحة 123).

كما نراه في موضع آخر يربط بين الصلاة والمسجد، ويذكر المسلمين بفضل الصلاة فيه ، فيقول :

واذكره بعد المسجدين معظما لمساجد الله الثلاثة مُكْبِرا

يذكر الشاعر في هذا البيت فضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى لما لهما من مكانة في نفوس المسلمين. (مغربي، 1404، الصفحات 84-85) وهذا استحضار لقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى (الكريم، 1997، الصفحات 118-119) ويقول في موضع آخر حزينا :

خفت الآذان فما عليك موحد يسعى ولا الجُمَعُ الحسان تقام

وجنت مساجد كن نورا جامعا تمشي إليه الأسـد والآرام

يدرجن في حرم الصلاة قوانتا بيض الإزار كأنهن حمام

وهنا "يبدي حزنه وأسفه على الخلافة الإسلامية بعد سقوطها وزوالها عن مدينة — أدرنه – وهي من أمات المدن العثمانية، بها مقابر كثير من سلاطين (آل عثمان) ، وقد خفت صوت الآذان وجنت أنوار المساجد ولم تعد هناك صلوات الجمعة". (بليق، 1978/1398، صفحة 132) ويقول في موضع آخر واصفا أهل الصحراء:

ومن عجيب لغير الله ما سجدوا على الفلا ولغير الله ما ركعوا

كيف اهتدى لهم الإسلام وانتقلت إليهم الصلوات الخمس والجمع؟

يمدحهم بإخلاصهم لله تعالى، إذ أخلصوا له العبادة فلم يسجدوا ولم يركعوا لغيره سبحانه وتعالى، وهذا- كما يرى شوقي – من كمال الإيمان وتمام الإسلام الذي اهتدى إليهم وهم في فلواتهم الشاسعة القاحلة.

وعليه يمكننا القول إن هذه الأبيات والتي سبقتها تكشف للقارئ حماس شوقي و حبه للإسلام، إذ "لا يخفي أن عاطفة الشاعر الدينية بلغت مبلغا بعيدا عن الانجلاء والتقصي والانطلاق في عمق، بعد أن شابها بعض الفتور والتراخي في طور الشباب". (الكريم، 1997، صفحة 118).

ثانيا : الزكاة في شعر أحمد شوقي :

الزكاة لغة : مصدر زكا الشيء، إذا نمى وزاد، وزكى فلان إذا صلح. فالزكاة هي : البركة والنماء والطهارة والصلاح ، و الزكاة شرعا تطلق على الحصة المقدرة من المال التي فرضها الله للمستحقين كما نطلق على نفس إخراج هذه الحصة (القرضاوي، 1969/1389، الصفحات 37-38). يقول الله جل جلاله : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم.) التوبة: 103. ويقول جل ثنائه (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ). فصلت: 7،6. " يشن شوقي" – من خلال شعره – حملة شعواء على المسلمين الذين لا يزكون، والذين يتهربون منها بمبررات واهية، فاصلين بذلك بينها و بين أختها الصلاة، وقبل أن نورد الدليل من شعره نسوق النص النثري الآتي الذي كتبه شوقي في حق مانعي الزكاة:أمر الله فصليتم، ونهى المال(كذا) فما زكيتم، فرقتم بين الخمس، وكلها حكم واحد، فلكل ألف مصل مزك واحد، واستسهلتم فأخذتم ، واستصعبتم فنبذتم، فلو دخل المال في الصلاة لأقفرت منكم مساجد الله.... ،أعلمتم أن الزكاة فروض؟ وإنها وقاء الأعراض والعروض، وحق العاجز في الحياة بخستموه، وحكم الله الذي أغناكم قد دستموه. تقرضون الولاة ولا تقرضون الله، وتنفقون تملقا لأهل الجاه ولا تنفقون تعلقا بالنجاة". (شوقي، 1951، الصفحات 90-91) .

عجبت لمعشر صلوا و صاموا ظواهر خشية وتقى كذابا

وتلفيهم حيال المال صما إ ذا داعي الزكاة بهم أهابا

لقد كتموا نصيب الله منهم كأن الله لم يحص النصابـا

ومن يعدل بحب الله شيئا كحب المال ظل هوى وخابا.

وهنا "يعيب على أولئك النفر من الناس– الأغنياء الذين يعطلون ركنا هاما من أركان الإسلام وهو الزكاة. ويتظاهرون بالإسلام بإظهار الصلاة والصوم" (نوفل، 1991، صفحة 57).ونراه يدافع عن الزكاة بوصفها حقا للفقراء والمساكين، وليس مَنًا من أحد عليهم ولا تفضلا، ونشعر من خلال قراءتنا للنصين أنه في موقف دفاع عن حق الله أولا ثم عن نصيب الفقير في مال الغني، فالزكاة كما هو مقرر "ركن من

أركان الإسلام[يشعر معها الفقير] بكرامته وبحقه في مال الغني، إحقاقا للحق وتحقيقا لشريعة الله . (المجيد، 1982، صفحة 34).

ويقول في قصيدة أخرى :

والبر عندك ذمـة وفريضة لا منـه ممنونة وجبـاء

جاءت فوحدت الزكـاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء

فلو أن إنسانـا تخير ملـة ما أختار إلا دينك الفقراء

والحديث هنا عن البر، وأصل القول : جاءت الزكاة فوحدت سبيل البر، وجمال هذا البيت في ترقبك الفاعل حين قال : (جاءت) فأنت مشدود إلى الكلام، تنتظر الإفصاح عن الفاعل حتى يصدمك بفعل آخر، ثم يأتيك بالزكاة فاعلا للفعلين معا، وهذا من باب (التنازع) عند النحاة، وبلاغة الكلام في هذا الترقب و الانتظار، وذلك من خصال السبك أو الكلام إذ يأخذ بعضه برقاب بعض كما يقولون (المجيد، 1982، صفحة 34). وأما البيت الأخير "فيوهم – القارئ- أن الإسلام يرعى حقوق الفقراء ويهمل مصالح الأغنياء، أو بعبارة أخرى ينتقم لأولئك من أولئك، ويخضع هؤلاء لأولئك، فلذلك لو كان إلى الناس المفاضلة بين الأديان واختيار أحبها إليهم وأحفظها لحقوقهم لآثره الفقراء، ولم يرضوا إلا به دينا. والحق أن الإسلام دين الفقراء، والأغنياء ودين السوقة والأمراء، وهو إذ يأخذ الزكاة للفقراء من الأغنياء إنما يتحرى مصلحة الفريقين، ولا يقصد إلا إليها وحدها، لتنهض العلاقة بينهما على التواد والتضامن الاجتماعي". (مرزوق، 1981، صفحة 168) وأثار هذا البيت آراء عديدة ومختلفة، منها قول أحد الكُتَّاب " ونقف قليلا عند هذا البيت، فإن الفقراء يختارون هذا الدين، لأنهم يجدون فيه الإنصاف والعدالة ضد الأقوياء المتجبرين. وإذ يحدد لهم حقهم في أخذ أجورهم إن عملوا بحيث لا يبخسون ويجعل لهم نصيبا محددا في أموال الأغنياء إن كانوا عاجزين ويمنحهم حق الحياة الكريمة، فلا سيد ولا مسود ولا ظلم ولا اضطهاد ولا سوقا للأعمال بالقهر ولا استذلالا بسبب تفاوت الطبقات ". (ناصف، 1964، صفحة 132).

سل الفقير عن تكرمه للغني وأطلب مزيدا في الرخاء لموسر

هذا دفاع من الشاعر عن الفقراء وحقهم المَنزل من السماء، الذي أضحوا به أصحاب الكرم والمن والعطاء.... وهذا الذود أو الدفاع – في اعتقادنا – مرتبط بإيمان الشاعر، و"يجدر بنا ونحن في سبيل تحليل نفسية (أحمد شوقي) الشاعر الإنسان أن نذكر أنه كان كبير الإيمان، والإيمان مبعث كل الفضائل، والرجل المؤمن يخاف الله ويعطف على البائس ويعين الضعيف ويسأله الرحمة بالمكدودين الكادحين، حتى لتظن انه موكل بالدفاع عن فريق من البشر حرموا من الحق في الحياة، وإن كان لهم في كافة الشرائع وفي منطق الإنسانية نصيب من أموال الأغنياء فلا يصح أن يموت ثري من التخمة ويموت فقير من الجوع " (الخشب، 1964، صفحة 609). ويرفض الإسلام الصورة الذليلة للفقير وهو يطلب قوت يومه، و المساعدة التي يحتاجها مرتبطة بالتكافل الاجتماعي "وبذلك تنتفي عن الزكاة تلك الصورة الذليلة التي يتصورها البعض، صورة يد ممدودة بالسؤال ويد منفصلة تنفحها بشيء من المال، إنها صورة مزورة مفتعلة لفريضة الزكاة، يتخيلها من لا يعرفون حقيقة هذا النظام، أو ممن يعرفون ولكنهم يحاولون تشويه الحقائق لغرض معلوم فأما الصدقات فلأن فيها مظنة الإحسان من مخلوق إلى مخلوق ، فإننا نرى الإسلام ينفي هذه المظنة بشدة، ويقرر دائما أنها فرض لله يجزي [عليه بما يشاء]. وليس تفضلا من إنسان على إنسان، وإن الرابح في هذه العملية هو من ينفق المال، وانه إنما يقدم لنفسه، ما انفق بلا مَنٍ ولا أفضال، ومن ثمة فالمعطي حين يعطي لا يتفضل على المحتاج" (المجيد، 1982، صفحة 34) .

ويقول في موضع آخر:

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء

الاشتراكيـون أنت إمامهم لولا دعاوي القوم و الغلواء

ويقول أيضا:

لا ينفع النفس فيه وهي حائرة إلا زكاة النهى و الجاه و المال

ويقول عن الزكاة في القرآن:

أكل فـي كتاب الله إلا زكاة المال ليست فيه بابا

ويقول في حقيقتها:

لكل جَنْيٍ زكاة في الحياة ومعنى البر لا في لفظ الزكاة

إن كل هذه الشواهد والأمثلة تؤكد تصور شوقي لموضوع الزكاة، واهتمامه المنقطع النظير–دون أقرانه من الشعراء– بهذه الشعيرة التي أُهْمِلَتْ في زمانه، ونلحظ أن اطلاعه على بعض مبادئ العلوم الشرعية قد ساعده على الاستدلال والتوظيف الجيد للمفردات مما منح نصوصه الحجة المقنعة " وما نظن أن شاعرا ممن سبق شوقي، كما لا نزعم أن شاعرا ممن سيأتي من بعده يستطيع أن يلم بحقائق الدين العلوي الشريف بمثل هذه الإلمامة العصرية... [التي تتلخص في أنّ] للفقير والسائل والمحروم حقا في مال [الغني]، وهذه رسالة إنسانية تعلو على كل المذاهب الاجتماعية التي أتى بها العصر الجديد للسيطرة على الشعوب من خلال مظهر خلاب براق، ينادي بالتساوي وإزالة الفوارق بين الناس". (قطب، 1386-1967، صفحة 71).

ويرى بعض النقاد أن في الأبيات السابقة– و في معظم أشعار الأمير– شيئا من التدرج والتسلسل، و" هو أسلوب استخدمه "أحمد شوقي" لغاية الرجوع بالقضية[كالزكاة مثلا] إلى أصولها، والوصول بها إلى أبعادها، باستعراض الإمكانيات المختلفة فيها وترتيبها، فكان التعميم والشمول إيحاء دون تصريح، أو باستعراض أقل ما يمكن من إمكانياتها وابنتيها وترتيبها، فكان الرمز والإشارة إجمالا دون تفصيل" (المجيد، 1982، صفحة 69).

ويصف الزكاة في موضع آخر بأنها أغلى فروض الإسلام وأهمها ، وأنه يواظب عليها، لأنها فريضة وواجب، في وقت تركها النساك المؤمنون المتعبدون.

وإني ولا مَنٌ عليك بطاعة أجل وأغلى في الفروض زكاتي

أبالغ فيها وهي عدل ورحمة ويتركها النساك في الخلوات

ويقول أيضا :

ولم أر مثل جمع المال داءً ولا مثل البخيل به مصابا

وخذ لبنيك والأيام ذخرا وأعط الله حصتَّه احتسابا

وخلاصة القول إن أشعار شوقي في الزكاة تشي بتوجهه الشرعي الذي يجعلها حقا لا مكرمة، فهي "لا تمثل فكرة – الإحسان- بقدر ما تمثل الحقَ، والرسولُ صلى الله عليه وسلم يصف الفقراء بصفة الشركاء فيعتبر الفقير شريكا للغنى بمقدار الحق الشرعي. ويتضح لنا دور التكافل الاجتماعي في الجانب المالي فيما يمثله من قيمة كبرى لدى رسول الله صلى الله وسلم" (الطرابلسي، 1981، صفحة 135) .

وجانب آخر نستشفه من شعر "أحمد شوقي" وهو الدعوة إلى " أن يتناصر المسلمون ويتكافؤوا ، فيما بينهم حتى لا يبقى فيهم عار ولا جائع ولا مهين، ويكفل غنيهم فقيرهم ، ويتعفف فقيرهم أن يبسط يده إلى الغني بالاستمداد" (حسين، د.ت، الصفحات 145-146). وفي هذا السياق يتبين أن الزكاة ليست صدقة منثورة كما توهم بعض الناس، وليست إذلالا للفقير، وليست همجية كما ادعى البعض، إنما هي الضريبة الاجتماعية، إن صح لنا أن نعبر عن هذه الفريضة الدينية بهذا التعبير". (المودودي، 1404، صفحة 140).

ثالثا : الحج في شعر أحمد شوقي:

للحج مكانة مميزة في الإسلام، وقد ورد ذكره في عدة مواضع من القرآن الكريم (سورة الحج :27، 29،28، آل عمران: 96،97، البقرة : 196،197.) ، كقوله تعالى(*وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ* رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)،الحج:27.

ولهذه المكانة الهامة تغنى به الشعراء، ومن بينهم أحمد شوقي الذي قال فيه:

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات

أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة وشتات

تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديـك ولا الأقـدار مختلفـات

يصور شوقي الحجَ في هذه الأبيات وكأنه مؤتمر عالمي " يجتمع فيه المسلمون من شتى بقاع الأرض...، وهم أجناس وألوان ما جمعتهم مصالح خاصة ولا مغانم زائلة، تركوا أموالهم وأولادهم ومصالحهم من أجل الحج، فهو الركن الخامس للإسلام" (فتحي، 1413، صفحة 144).

ونلحظ أن الشاعر قد بدأ نصه باستهلال يناجي فيه ربه، ثم تلاه بذكر موضوع القصيدة ،وهو الحج، حيث ذكر أهم خصيصة فيه وهي المساواة بين الحجيج ، الذين إذا نزلوا بساحة الله بطل بينهم الخلاف وزالت الفوارق، فإذا هم إخوان متساوون" (ناصف، 1964، صفحة 158).

والمساواة يراها الشاعر أهم حكمة في الحج ، وذلك حين " يُقْبِلُ الناسُ أفواجًا مختلفة، ويأتون من كل بقعة فيتساوون في الأقدار وينمحي بينهم التفاوت". (فهمي، 1959، صفحة 151) وأما في قوله :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات

فيقول أحد النقاد "وقد يكون تخصيص العموم من مظاهر استغلال الإمكانيات المختلفة في دلالة اللفظ، إذا تمثل في استعمال اللفظ في معناه المادي الضيق دون معناه الاصطلاحي الواسع المطرد، كاستعماله لفظ "الدين"، حيث أخذ لفظ الدين في معنى المصدر من دان يدين دينا". (الطرابلسي، 1981، صفحة 406).

وعلى العموم فإن هذا النص يلخص المفهوم الشائع أن "الحج موكب الإسلام ...، ومهرجانه العظيم وعرسه الفخيم، ونديه الكريم...". (شوقي، أسواق الذهب، 1951، صفحة 91).

كما نظم "أحمد شوقي" قصيدة بمناسبة حج "الخديوي عبَّاس حلمي" سنة 1327هـ، واختيار المناسبة في نظم القصائد أمر معروف لدى العرب منذ القديم، و(شوقي) يسير على ذلك مقلدا، "والحق أن شعرنا القديم حافل جدا بهذا الأسلوب منذ الجاهلية الأولى، فقد كان الشعراء ينتهزون المناسبات العارضة دائما للإفاضة في الكلام. وكأنما هم لسان حال الجمهور يدعونهم فيجيبون، (....) إذن فالذي يرفع من قيمة هذا الأسلوب ويعزز من قدرته هو الظروف العامة التي يلقي فيها" (العريض، 1950، صفحة 51). إن تأثر شوقي بالشعراء القدماء والنظم على منوالهم في المناسبات، لا ينقص من مكانة شعره، وإن كان بعض النقاد يعيبون عليه ذلك، ويربطونها بالتقليد و المعارضة، وبعضهم يرفض هذا الرأي، "ولعل من الخير والحق أن ننصف الشعراء، فنلاحظ أنهم كانوا مضطرين إلى أن يتأثروا بالقديم في أول الأمر، لأن هذا التأثر بالقديم نفسه دليل على الحياة و القوة والقدرة على البقاء و الجهاد، فهو دليل على أن لهذا الأدب العربي ماضيا خصبا فيه غناء، وفيه قدرة على الحياة ومغالبة العصور، وفيه قوة على أن

يعيش ويعبر بأساليبه وأنماطه القديمة عن طائفة من أنحاء الحياة الجديدة مضت بينه وبينها قرون طوال". (حسين ط.، د.ت، صفحة 7).

والنص الذي قاله شوقي في حج الخديوي عباس هو:

قل للخديوي إذا وافيت سدته تمشي إليه ويمشي خلفك الناس

حج الأمير له الدنيا قد ابتهجت والعود و العيد أفراح وأعراس

فلتحيى ملتنا! فلتحيى أمتنا فليحيى سلطاننا! فليحي عباس

يحتفي الشاعر في هذه الأبيات باعتزام الخديوي عباس أداء مناسك الحج وزيارة بيت الله الحرام، وهو عمل أسعد الشاعر كثيرا، وذكَّره بيوم العيد الذي يُدْخِل البهجة في قلوب المسلمين جميعا، ومما يحسب للشاعر في هذا النص حُسْنُ اختياره للروي (السين)، الذي أضفى على القصيدة " نوعا من الحركة، فكأنه يصور حركة موكب الخديوي في ذهابه للحج، وكأنه موكب – أفراح وأعراس- وهذا من المميزات العامة لأسلوب شوقي" (الكريم، 1997، الصفحات 115-116) ، إضافة إلى أن السين صوت مهموس يدل على السكينة والهدوء والوقار، ولاشك أنها صفات يتحلى بها أيُّ موكب يقصد بيت الله الحرام.

3. خاتمة :

عالج الشاعر أحمد شوقي عديدا من القضايا الملتزمة بالدين الإسلامي الحنيف، والتي أظهرت بوضوح إيمانه الراسخ بالإسلام بوصفه عقيدة ومنهج حياة ، وتظهر القضايا التي تناولها (الصلاة ، الزكاة، الحج) وعيه المتميز من هذه العبادات الجليلة ، ودلالتها الفقهية ، وأبعادها الإيمانية . وقد استطاع بلغة شعرية متميزة ــ إلى حد ما ــ تبيان أن فريضة (الزكاة) حق فرضه الله على المسلم ، وليس تفضلا منه . وبذلك قام الشاعر بتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية ، كما نلحظ أيضا احتفاءه الشديد بفريضتي الصلاة والحج بوصفها أهم أركان الإسلام قاطبة.

4. الهوامش :

* ولد " أحمد شوقي" عام 1285هـ/1868م ، وترجع أصوله إلى أصول أربعة "عربي، تركي ، يوناني، جركسي.

زار الشاعر "أحمد شوقي" عواصم عديدة ، وتزود من معارفها وثقافتها. وتعرف على حضارة تلك العواصم، من هذه الدول الجزائر للاستشفاء من مرض ألم به، ويقول في ذلك " أما جو الجزائر فلا يعدله بين الأجواء في صحوة وصيب نسخته مع توقد شمسه". وحول نشأته الأدبية وثقافته يذكر " أحمد شوقي": "أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا ا"المتنبي" مثلا حياته العالية ثم يموت على نحو مائتي صحيفة من الشعر، تسعة أعشارها لممدوحيه والعشر الباقي وهو الحكمة والوصف للناس، هنا يسأل سائل: وما بالك تنهي عن خلق وتأتي بمثله ؟ فأجيب أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلم اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء. وأكد " حنا الفاخوري " تنوع ثقافة "أحمد شوقي" بأخذه من كل شاعر أفضل ما عنده من جماليات، فراق له من الشاعر "أبي نواس" الغزليات، وراق له من "البحتري" صفاء الخيال ودقة التصور وجمال الموقع والموسيقى. وأعجبه "من أبي تمام" و"المتنبي" احتفالها بالمعاني الرقيقة والسعي في إصابتها. وتربع على إمارة الشعر وفي ذلك يقول شاعر النيلين "حافظ إبراهيم":

أَمير القوافي قد أتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

وترك أمير الشعراء " أحمد شوقي" عديدا من المؤلفات وهي (ديوان شعري الشوقيات 04 أجزاء – دول العرب وعظماء الإسلام – أسواق الذهب – الشوقيات المجهولة ، ج 01، ج 02 – مسرحية مصرع كيلوبترا – مسرحية مجنون ليلى – مسرحية عنترة – مسرحية شيطان بنثاءور – أميرة الأندلس – كرمة ابن هاني – رواية عذراء الهند – رواية لادياس – رواية ورق الآس – رواية الست هدى – رواية البخيلة – رواية علي بك الكبير– رواية قمبيز ...).

رحل الشاعر الأمير " أحمد شوقي" عام 1351هـ/ 1932م ، وفقد الأدب العربي بذلك أحد رواده الذين تركوا فراغا كبيرا .

تركت وفاة الشاعر"أحمد شوقي" بصمتها في الأوساط الأدبية العربية والإسلامية وأهمها الجزائرية ، شاركت جمعية العلماء المسلمين برئيسها الإمام " عبد الحميد بن باديس" (رحمه الله) الكتاب والشعراء في ذكر مناقب هذا الشاعر الكبير " شاعر العروبة والإسلام ". ومن أهم ما كتب في جريدة الشهاب المجلة الناطقة باسم جمعية العلماء المسلمين في الجزائر : مات شاعر الإسلام الذي كان يعتز بمفاخره ، ويشدو بمآثره ، وينطق بلسانه ، مات شاعر العربية الذي تشرب روحها، وتملكت هي روحه، فحمى أسلوبها، ونغمها وحمل لواءها خفاقا في الآفاق ،كما توج على شعرائها في الأقطار باستحقاق، مات شاعر الشرق الذي كان يهتز قلبه لهزاته، وتضطرب حياته لاضطراباته ، فيدوي صوته حتى لتتحرك منة الجبال ، وتسري كهرباؤه حتى لترتبط بعد الشتات أوصال. أما جريدة (وادي ميزاب) فقالت : إذا ما بكينا " أحمد شوقي" فإننا نبكي شاعرا من معجزات هذا العصر، نبكي شعرا فياضا، نبكي عاطفة إسلامية، نبكي روحا أنعشت لغة الضاد فبعثت فيها حياة جديدة. ينظر : إليا الحاوي : أحمد شوقي أمير الشعراء ، ج 02، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1980م . 05، ضحى عبد العزيز : أحمد شوقي حياته وشعره ، دار كرم للنشر والتوزيع ، دمشق ، د. ت. ص 31، 32...

** نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي وعليه وضح النهج لشيخ الأزهر سليم البشري، (تقديم محمد المويلحي) ، منشورات مكتبة الآداب ، القاهرة ، د. ت . ص 03 .

5.المراجع :

- القران الكريم.

1 – محمد مكرم بن منظور :(د. ت) لسان العرب ج 12 ، دار الإحياء العربي ، بيروت .

2 – مجد الدين الفيروز أبادي :(1995م) القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية، بيروت.

3 – ناصر بن عبد الرحمان الخنين : (1408هـ)الالتزام الإسلامي في الشعر، دار الأصالة، الرياض.

4 ـ عبد القدوس أبو صالح :(1427هـ، 2006م) الأدب بين الالتزام والإلزام، الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الرياض ع : 50 .

5ـلخضر العرابي :(2003م) الأدب الإسلامي "ماهية ومجالاته"، دار الغرب ، وهران .

6 ـ نجيب الكيلاني: (1413هـ، 1996م.) مدخل إلى الأدب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت.

7ـ أحمد أبو حاقة :(1979م) الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين، بيروت .

8- سعيد حوي : (1405هـ، 1988م .)الإسلام، دار الشهاب، الجزائر.

9 – أحمد شوقي :(1946م) الشوقيات ، ج 02 ، (تقديم: محمد هيكل)، دار الكتب، القاهرة.

10- محمد علي مغربي : (1404هـ .)الإسلام في شعر شوقي، دار العلم، المدينة المنورة .

11- د. سعاد عبد الوهاب عبد الكريم : (1997م)إسلاميات أحمد شوقي" دراسة نقدية "، مطابع الأهرام ، ط 02 ، القاهرة.

12- عز الدين بليق :(1398هـ ، ،1978م) مناهج الصالحين ، دار الفتح ، بيروت .

13- د. يوسف القرضاوي : (1389هـ ، 1969م)فقه الزكاة، ج 01 ، دار الإرشاد ، بيروت

14- أحمد شوقي :(1951م) أسواق الذهب ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة .

15- د. محمد محمود نوفل: (1991م) "الطوابع الإسلامية في شعر شوقي"، الهداية،(نوفمبر) ع: 171. وزارة الأوقاف، المنامة.

16- أحمد عبد المجيد :(1982م) احمد شوقي الشاعر الإنسان ، دار المعارف ، القاهرة.

17-حلمي علي مرزوق :(1981م) شوقي وقضايا العصر والحضارة ، دار النهضة ، بيروت.

18-عبد الجندي ناصف :(1964م) الدين والأخلاق في شعر شوقي ، نهضة مصر، القاهرة .

19- د. إبراهيم أبو الخشب :(1964م) " إسلاميات شوقي"، ع : 5. الأزهر، القاهرة.

20-سيد قطب : (1386هـ ،1967م.)دراسات إسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة .

21-د. محمد الطرابلسي: (1981م .)خصائص الأسلوب في الشوقيات ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس.

22 - محمد حسين : د. ت]الإسلام ومنطق القوة ، الدار الإسلامية ، بيروت .

23 - أبو الأعلى المودودي :(1404هـ) مبادئ الإسلام ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية ، الرياض .

24 - محمد أبو زهرة :(1987م) التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

25 - هيام فتحي :(1413هـ) " الحج في القصيدة العربية "،.ع : 505 المنهل ، جدة

26 - ماهر حسين فهمي :(1959م) شوقي شعره الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة .

27 - إبراهيم العريض:(1950م) الأساليب الشعرية ، دار الأديب ، بيروت.

28- طه حسين : حافظ وشوقي ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، [د. ت].

29 - إبراهيم أبو الخشب:(1975م) " إسلاميات شوقي"، الأزهر، القاهرة ، ع : 06 (أغسطس).

30 - إبراهيم أبوالخشب:(1975م) "إسلاميات شوقي"، ع : 08 الأزهر، القاهرة ، (أكتوبر).

31- نهج البردة لأمير الشعراء أحمد شوقي وعليه وضح النهج لشيخ الأزهر سليم البشري، (تقديم محمد المويلحي) ، منشورات مكتبة الآداب ، القاهرة ، د. ت . ص 03 .